التفاعلات القبلية واثرها في الحياة السياسية الليبية قبل وبعد 2011

أ.م.د. ناظم نواف ابراهيم
الجامعة المستصرية-كلية العلوم السياسية

الملخص
تقدم التجربة الليبية نموذج الدولة الفاشلة وفقا لمؤشرات الاستقرار، وعدمه ، لاسيما بعد ما سمي (بثورات الربيع العربي) ، فالغياب الكامل، والمؤثر لمؤسسات الدولة، في ظل مرحلة حكم الراحل معمر ألقذافي ، ولانتقالها السريع إلى التعددية ، وبشكلها الفوضوي إي غير السليم ، والذي انعكس على التركيبة المجتمعية، وسبل إدارتها الممثلة بالتنوع والتعدد القبلي والمناطق والديني والإيديولوجي ، فضلا عن التقاطعات بين القوى مما اوجد حالة من الصراع الداخلي الذي تحول في أوقات كثيرة إلى الاقتتال بين الإطراف المتنازعة والأخير تضافر مع تدخل إقليمي ودولي مما جعل المشهد او المسالة الليبية يشوبها من التعقيد وخلق حالة من عدم الاستقرار السياسي.

مقدمة :-
يعد المجتمع الليبي مجتمعا قبليا ، بتركيبته ، وطبيعته العامة ، وهنا تلعب القبائل في ليبيا الدور الأساس في تشكيل خارطة العمليات السياسية، من حيث الانتماء والولاء للنظم الحاكمة ، بل أثرت في الحياة السياسية، على مرور تاريخها القديم والحديث ، والتاريخ حافل بالشواهد لما قامت به القبائل ، وشيوخها بقيادة الكفاح الجهادي المسلح ، ضد الاستعمار الايطالي للفترة مابين 1911 و 1943 ، وقتئذ نجحت المقاومة الشعبية، في إجبار قوات الاستعمار ،المار ذكره على الخروج من الأراضي الليبية ، وحصل وقتها إن قامت عائلة (إدريس السنوسي) بتمثيل ليبيا في اجتماعات الأمم المتحدة ، في العام 1949 فضلا عن قيام شيوخ العشائر ، بعقد لقاءات وتمخض عنها اجتماعات لتمثيل الشعب الليبي ، في مدينة بني غازي، للتباحث إلى صياغة دستور للبلاد ، يشير إلى تأسيس أول ملكية دستورية .
وهنالك من الآراء التي ترجح معاداة الأنظمة السياسية للنظام الحزبي ، بدأت عقب الاستقلال بعام واحد وتحديدا في 1951، أي في عهد الملك (السنوسي) ، كما أسلفنا، بينما نجد من الآراء السائدة ، وما توضحه العديد من المصادر والشواهد والتي تشير إلى إن سيطرة التحالفات القبلية ، على العقل الليبي الجمعي ، بدأت مع ثورة ألقذافي في عام 1969، والتي فيها تم إلغاء الأحزاب السياسية المدنية ، فاتحه المجال للفكر القبلي ، بالتمدد والانتشار!. ثم جاءت أحداث

ثورة (17 يناير/كانون الثاني 2011) وما أفرزته من تطورات على الساحة السياسية ، لترسخ مبدأ القبيلة ، وفسح المجال كاملا بالسيطرة بشكل واسع وكبير، على الحياة السياسية في ليبيا.

أهمية الدراسة :- تنبع أهمية الدراسة من الدور المؤثر للقبيلة في الحياة السياسية الليبية وعلى مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفي اغلب المراحل التاريخية التي مرت بها ليبيا لاسيما بعد السابع عشر من كانون الثاني/ يناير 2011 وما تلاها من تطورات على الساحة السياسية من تعدد وتنوع في التشكيلات الحزبية والتنظيمات السياسية المختلفة .

مشكلة لدراسة : ان الأمر الذي يفسح الباب واسعا أمام العديد من التساؤلات ، حول دور القبيلة في الحياة السياسية الليبية قديما فضلا عن دورها في المرحلة الحالية بعد رحيل القذافي ؟ ومدى قيامها بدعم او عرقلة مسار التحديث والتنمية سبيلا الى تكريس الديمقراطية والوحدة الوطنية في ليبيا ؟ وهل ليبيا سوف تتجه الى بناء دولة مؤسسات(ديمقراطية) تتسم بالتعددية والحرية والعدالة وكذلك المساواة بعد سقوط نظام القذافي وانكفاء دور القبيلة ام ماذا ؟ وماهي السبل الناجعة لتحقيق الاستقرار العام في ليبيا وخروجها من الموروث القبلي ؟ وهل ستكون ليبيا اليوم اما بناء قبيلة الدولة ام دولة القبيلة ؟

فرضية الدراسة : تنطلق الدراسة من فرضية مفادها ان للقبائل دور مؤثر في الحياة السياسية في ليبيا وعلى مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية فضلا عن ان قوة الولاء القبلي ساهم بنصيب في عرقلة بل وتخريب بعض برامج تحديث المجتمع اجتماعيا او تحديث سياسي على مدار تاريخ ليبيا قبل وبعد 2011.

منهج الدراسة : اعتمدت الدراسة على العديد من المناهج وهي التالية : 1- المنهج التاريخي ، ويقوم على معرفة تاريخ المجتمعات بشكل عام والتطور الذي يطرأ على شبكة العلاقات الاجتماعية من اجل فهم واقع المجتمعات الليبية بشكل خاص موضوع البحث ، لذا تم اعتماد هذا المنهج لدراسة أحداث الماضي وتفسيرها بهدف الوصول إلى أوضاع وواقع الحاضر والتنبؤ بالمستقبل. 2- منهج التحليل النظمي : اعتمد هذا المنهج في دراسة ولقع ودورالقبيلة في الحياة السياسية في ليبيا قبل وبعد ثورة 17 كانون الثاني / يناير 2011 ، لكون المنهج يهتم بالمتغيرات المؤثرة للقبيلة في ليبيا والمدخلات (Inputs) والناتجة عن التفاعل من القبيلة بصيغ مخرجات (outputs) من الحكومة اي تكون الحكومة مقاربة لمدخلات القبيلة ، وبمعنى أدق دوافع الحكومات المتعاقبة إلى الاعتماد على القبيلة كثيرا في الحياة السياسية.

تقسيم الدراسة : قسمت الدراسة إلى أربعة مباحث فضلا عن المقدمة والخاتمة بالاتي :

المبحث الأول : تأصيل نظري ومفاهيمي : للقبيلة والعشائرية .

المبحث الثاني : قراءة في البنية القبلية والعشائرية في ليبيا .

المبحث الثالث : النظرة إلى القبيلة كقاعدة في العمل السياسي مرحلة ما قبل ثورة يناير/كانون الثاني 2011 .

المبحث الرابع : دور القبيلة في العملية السياسية بعد ثورة 17 يناير/كانون الثاني 2011 وأثرها في الاستقرار السياسي .

المبحث الأول : تأصيل نظري و مفاهيمي : للقبيلة والعشائرية .

يتطلب الحال هنا التعريف بالقبيلة والعشيرة ، بعد ان تعددت تعريفاتها ومعانيها، ثم الوقوف على دوافعها وأهمية دراسة دورها في دراستنا هذه، وسيتم تناول ذلك بالاتي:

التعريف- **بالقبيلة** (**Tribe**) :- تعد القبيلة في ليبيا منظومة اجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ،بل وحتى ثقافية ، تشكلت معالمها- وملامحها عبر المراحل التاريخية ، التي مرت على ليبيا . لاسيما في العهد الملكي (السنوسي) ، ومن بعده العهد الجمهوري ، لحد إزاحة نظام ألقذافي عام 2011 ، لذا فهي إي (القبيلة) تعد التجمع النهائي ، لعدد من العشائر التي تنحدر من أصل واحد ، بعيد بتاريخه ، ويعد مفهوم القبيلة من المفاهيم ، التي تعددت تعريفاتها. وعليه لايوجد اتفاق على الدلالة ، والمعنى نفسيهما ، اذ ان القبيلة في اللغة هي: جماعة من الناس تنتسب الى أب او جد واحد[1] . او هي الانتساب لعشيرة اجتماعية، تحدد تاريخ المنتسب، وتكوينه وعلاقاته ، وهي وحدة التنظيم الاجتماعي الأساس في اغلب المجتمعات البدوية ، ورابطة الدم هي الأساس في تكوينها ، وقد توجد حالات أخرى تكون فيها المصالح - والتعاضد الاجتماعي والإرث الثقافي المشترك ، أساس تكوين القبيلة [2] . وعرفت أيضا على انها :- وحدة اجتماعية تجمع عدة عشائر او مجتمعات محلية ، وتتميز بوحدة المكان -واللغة ، والثقافة ، ويرأسها شيخ القبيلة ، وتدار أمورها في مجلس ، يسمى مجلس القبيلة[(3)] ، وكذلك هي : المجموعة المتماسكة اجتماعيا- وسياسيا ، ترجع الى سلف واحد، وتمتاز على مثيلاتها بحضارة متجانسة ، وتنظيم اجتماعي خاص بها ، وتكون لها سلطة سياسية مركزية ، وأحيانا سلطة اجتماعية ، وتتسم بأنها تتزاوج داخليا (Endogamy) . وتنقسم إلى مجموعة عشائر إذا كانت الأخيرة كبيرة ، من حيث العدد ، وتعيش معا في أقاليم مختلفة، وهنا يشعر أبناءها بروح الجماعة[(4)] ، وقد تناول ابن منظور في (لسان العرب) بان (القبيلة ماهية الا تجمع ، وتدرج يقوم على النسب المشترك للمجموعة) ، وهو مقارب لما جاءت به (الموسوعة العربية المسيرة) عندما شخصت القبيلة بوصفها ب (مجموعة من الناس يتكلمون لهجة واحدة ويسكنون إقليما واحدا مشتركا يعدونه ملكا خاصا بهم واليهم) [(5)] . وهي تعني :- الجماعة من الأشخاص ، الذين يرجعون الى أب واحد - او جد واحد [(6)] . وقد اقر (القران الكريم) بالتكوين الاجتماعي وفحواه اي مضمونه انتماء الناس لمجاميع ، او وحدات تكوين اجتماعي ، متعدد في المكان، من خلال تشكيل أطوار لتكوين اجتماعي، بتتابعها الزمني ، مثل تكوين الأسرة / العائلة اذ جاء بقوله تعالى (ومن آياته إن خلق لكم من

---

[1]- نقلا عن:محمد رياض ، الإنسان ، دراسة في النوع والحضارة ، دار النهضة ، بيروت ، 1974 ، ص515 .

[2] - ناظم عبدالواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية ، دار النهضة العربية، بيروت –لبنان ، 2008 ، ص64 .

[3] -محمد عبدالحميد زيدان ، بعض سمات الشخصية للطلبة في الجامعات الاردنية وعلاقاتها برعاية الوالدين ، اطروحة دكتوراه ، مقدمة الى قسم علم النفس – كلية التربية –جامعة دمشق ، 1983 ، ص 85 . وكذلك : رعد حافظ سالم ، التنشئة الاجتماعية السياسية في دول الخليج العربي- دراسة انموذجي الكويت والبحرين اطروحة دكتوراه – كلية العلوم السياسية –جامعة بغداد ، 2007 ، ص 68 .

[4] - ناظم عبدالواحد الجاسور ، مصدر سبق ذكره، ص 475 – 476 .

[5] - نقلا عن : محمد نجيب بو طالب ، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي ، بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية ، 2002 ، ص 54 .

[6]- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، القاهرة ، مكتبة الشروق ، ص731 .

أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[7] ، أيضا قوله تعالى (وانذر عشيرتك الأقربين)[8]، وقوله تعالى (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ...)[9] . ومن هنا تعد القبيلة :- المؤسسة المجتمعية، التي تتميز بالأصل الواحد ، فمقياس الانتماء إليها هو النسب ، اما الطور القبلي : فهو طور التكوين الاجتماعي ، الذي لاتتميز فيه القبيلة عن غيرها، بالأرض المعينة ، لحركتها من مكان ، الى مكان اخر، وهي تكون اي(القبيلة) كل قائم بذاته ومستقل عن ذكره .والقبيلة لها معنى (ايجابي) ، هو علاقة الانتماء الى القبيلة ، كوحدة تكوين اجتماعي ، كما لها معنى (سلبي) وهي محاولة للعودة الى الطور القبلي ، كطور تكوين اجتماعي ، تجاوزه التطور الاجتماعي .فضلا عن ذلك ان القبيلة عند علماء الاجتماع تطلق على مجموعة من العشائر، والجماعات النسبية -او القرى ، ولها ارض - ولغة ، او لهجة مشتركة بين عشائرها ، ولها ثقافة واحدة يسودها تضامن اجتماعي، وثيق يربط أفرادها ، بعضهم بالبعض الآخر[10]. وعند علماء الانثروبولوجين فان القبيلة : هي الفاعل في النسق السياسي الذي تحدد أشكال العلاقات وأنواعها ، ويرتكز هذا النسق على القرية كوحدة صغرى يتحقق النفوذ السياسي داخلها بحسب شبكة المصاهرات [11] .اما القبيلة في الفكر السياسي العربي – الاسلامي كانت وحدة المجتمع العربي قبيل الاسلام وفهم العربي الدولة على انها دولة القبيلة اي انها دولة النسب ، والاخير هو الذي يربط بين افراد دولة القبيلة ويجمع شملهم وهو دين الدولة عندهم وقانونها المعترف به[12] . وفي السياق نفسه ينظر للقبيلة على إنها الدائرة الاشمل او الإطار العام الذي ينتمي اليه جميع الذين ينتمون او يرجعون الى جد او أصل واحد من الزمن الماضي البعيد ، ومؤسس وحدة اجتماعية وسياسية واقتصادية من حيث الاكتفاء الذاتي وصلتها بالقبائل الأخرى والمجتمع والعالم [(13)] , وكذلك عرفت القبيلة على إنها (وحدة قرابية تقوم على رابطة الدم والنسب متضامنة في وظائف الإنتاج والاستهلاك ، وفي وظائف الدفاع والتكامل ويحكمها هيكل من علاقات السلطة في قمته رجل كبير يسمى شيخ القبيلة وتعتمد على تقسيم بدائي للعمل [(14)] .وبالنظر الى رؤية ابن خلدون – نجده يعتقد بان القبيلة لاتتحدد بكونها جماعة متفرعة عن جد ، وكذلك لاتتحدد فقط بما يجمع بين أعضائها من روابط الدم وهنا النسب في معناه الضيق مفهوم وهمي لايقاوم امام واقع الاختلاط وعلاقات الجوار والتعايش ، لذا فهو يرى ابن خلدون ب (ان الاطار الحقيقي للقبيلة هو النسب في معناه الواسع والرمزي وما يمثله من اشكال التحالف والولاء والانتماء ، فيؤكد دور المكان – والأمن الذي يشكل محور التمام الجماعة ومما يذكي

---

[7] - القران الكريم ، سورة الروم الآية 21 .

[8] - القران الكريم .سورة الشعراء الآية 214 .

[9] - القران الكريم ، سورة الحجرات ، الآية 13 .

[10] - نقلا عن : هاشم محمد المشهداني ، العصبية في ضوء الاسلام ة،دراسة وصفية وتحليلية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، قطر ، 2002 ، ص212 .

[11] -محمد نجيب بو طالب ، مصدر سبق ذكره ، ص61 .

[12] -فاضل حسين ، الفكر السياسي في العراق المعاصر 1914- 1958 ، المنظمة العربية للتربية والثقافةوالعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1984 ، ص807 .

[13] - احمد شحاذة الكبيسي ، اشكالية المجتمع المدني في دول الخليج العربي ، رسالة ماجستير- كلية العلوم السياسية- جامعة بغداد ، 2002 ، ص 41 .وينظر كذلك : صباراسماعيل عبد الجبوري ، النظام السياسي الكويتي : دراسة سياسية للتطورات السياسية المعاصرة، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، 2006 ، ص 97 .

[14] - ينظر : رعد حافظ سالم ، مصدر سبق ذكره ، ص 68 .

الاحساس بالانصهار ضمن الجماعة اي القبيلة ويعزز تلاحمها الداخلي – والخطر الخارجي الذي قد يهدد استمرار وجودها ، سواء كان ناضجا عن عصبية زاحفة من خارجها او عن تدخل سلطة مركزية) [15] . والقبيلة كما هي في المفهوم تقوم على مبدا تنظيمي يحدد الاطر العامة للعضوية في الجماعة وفقا لتراتبية تنظيمية ، يمكن القول على انها رابطة موحدة الغرض ، مبنية على التحالف بقدر ماهي مبنية على النسب وصلة القرابة، وتوصف بانها تمثل عقلنة عامة مستمدة من الانتماءات والو لاءات الوشائجية (primorelial) المنغرسة في أعمق أعماق وجدان الإنسان والجماعة معا[16] . لذلك حصل اهتمام من جانب التراث العربي بمسالة القبيلة وصلة القرابة والعشيرة في المجتمعات العربية كما اسلفنا ، وهنا يشير المفكر محمد عابد الجابري الى ان فكرة الأهل والغنيمة او الثالوث ب (العقيدة و القبيلة والغنيمة) قد لعبت ولاتزال لها الدور المؤثر في السلوك السياسي الجمعي العربي ومنها موضوع الدراسة اي دور القبيلة في ليبيا [17] . فضلا على ذلك نجد العشيرة (clan)والتي تمثل ابرز التشكيلات الاجتماعية المعروفة في المجتمعات العربية بشكل عام ومنها المجتمع الليبي على وجه الخصوص ، اذ لعبت هذه الجماعة الاجتماعية أدوارا كبيرة ومؤثرة في الحياة السياسة تذكر لاحقا على مدى تاريخ ليبيا القديم والمعاصر والراهن ، فالعشيرة بمعناه الواسع هي جماعة من الافراد ذات الاصل الوراثي الواحد ، تعود الى جد واحد ، وتتمايز بانها اي العشيرة / الجماعة عن غيرها من الجماعات بوجود روابط القرابة بين أفرادها ، بالمقابل نجد القبيلة فهي اكبر من العشيرة وغالبا ما تضم عادة عددا من العشائر التي تنتمي او تشعر بالانتماء الى صلة قرابة واحدة وتشكل وحدة اجتماعية متماسكة تتمتع بدرجة من الاستقلال السياسي [18] . وللأهمية العلمية يجدر بنا التمييز بين القبيلة والقبلية وكذلك بين العشيرة والعشائرية –

فمعنى القبيلة والعشيرة وكما ذكر فهما يرمزان الى تركيبة اجتماعية حيوية ومهمة في حياة المجتمعات التقليدية ،وقد كان للقبيلة دورها التاريخي التنظيمي والسياسي فضلا عن الاجتماعي في حياة الشعوب والامم ، اما مفهوم القبلية والعشائرية فهما من المفاهيم التي ترجع الى نوع من الولاء المطلق لروح القبيلة ومصالحها ووجودها، وتقديم مصلحة القبيلة على مصلحة الدولة بل يصل الحال التفضيل على مصلحة الفرد نفسه ، فالاخير اي الفرد في القبيلة او حتى العشيرة يملك جميع الاستعدادات المطلوبة للتضحية في سبيل القبيلة ، دون التردد او السؤال عما يفعل ، وهذا مايطلق عليه المختصون بالعصبية القبيلة ، اذ ينتصر ابناء القبيلة لقبيلتهم مهما كانت الاسباب والظروف حتى وان كانت القبيلة على خطا او باطل [19] . وفي هذا السياق ايضا يرجع هذا الولاء الى مفاهيم التنشئة الاجتماعية القائمة على مجال التعصب القبلي او ما يسمى بالغيرة القبلية او الفزعة العشائرية ، اذ ينتفض او يثور(يهب) بالمصطلح العام أبناء القبيلة لنصرة والدفاع عن قبيلتهم مهما كانت الأسباب والمبررات بل وحتى النتائج ، وهنا يحضر القول بان

---

[15] - نقلا عن :نور الهدى بن تبقة ، المعطى القبلي بين الدور الايجابي والسلبي في بناء الدولة الليبية لفترة مابعد سقوط نظام القذافي ، الجزائر ، جامعة الجزائر ، د.ت ، ص 115 .

[1616]-خلدون النقيب، صراع القبيلة والديمقراطية، دراسة حالة الكويت، دار الساقي –بيروت،1996، ص 4.

[17]- ينظر: محمد عابد الجابري،العقل السياسي العربي،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،1990، ص 43 .

[18] - محمد نجيب بو طالب ، سوسيولوجي القبيلة في المغرب ، مصدر سبق ذكره ، ص 54 ، وكذلك ينظر : متعب مناف جاسم ، خصائص وسمات المجتمع العراقي ، بيت الحكمة ، بغداد ، 1998 ، ص 6 .

[19] - لمزيد من التفصيل ينظر : ابن خلدون ، المقدمة ، دار التراث العربي –بيروت ، د.ت. ص10 .

النزعة القبلية تستند الى نسق من الثقافة العامة والمؤكدة على العصبية السائدة والتي تنطوي تحت القول المأثور (انصر أخاك ظالما او مظلوم) منهجا وفهما وطريقة عمل من الهبة العشائرية والتعصب والغيرة لمصلحة خاصة ترتبط بالقبيلة . بمعنى اخر ان القبيلة كانت ولاتزال تشكل كيان يفرض وجوده حينما وجد ، بينما القبلية **Tribalism** تعد نزعة تعصبية ينتسب اليها افراد العشيرة فيقال بالقبلية[20] وقد تكون عمياء يبرهن اي يؤكد فيها ابناء القبيلة على ولائهم القبلي ولا يسالون أخاهم حين يحتاجهم وقت النوائب اي المصائب[21] . اي ان العصبية القبلية كانت قوام الحياة الاجتماعية في ايام الجاهلية ، ولم يكن للسلطة الحكومية اي ذكر او دور يذكر ، وبهذا كان الإنسان لايستطيع حماية نفسه وعرضه وماله الا بالانتماء الى قبيلة تحميه ، اذ كان الناس اذا ارادو التعرف على شخص سالوا عنه اية قبيلة هو وعن نسبه ، وبعد ماجاء الإسلام الغى العصبية القبلية وجعل محلها طاعة ولي الامر ومن هنا جاءت الآية الكريمة ((يا أيها الذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم))[22] . ومن الأحاديث المأثورة عن قول الرسول المصطفى (صل الله عليه وسلم) : ((ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبه ، او يدعو إلى عصبه ، او ينصر عصبة ، فقتل ، فقتلة جاهلية))[23] .

وكثيرا ما نسمع الحديث اليوم عن النزعة القبلية والمعبر عنها بسلوك الفاعلين المرتبط بتغليب الولاء للمجموعة القبلية والهوية القبلية ، وهذه النزعة اي القبلية كانت ولا تزال مجال نقد لسلطة النخب السياسية منذ بدايات القرن العشرين على الايديولوجيا القبلية وذلك بعدها طرفا ينازع الايدولوجيا الوطنية ، وهذا الحال مكننا من التمييز بين القبيلة والقبلية كما بين العشيرة والعشائرية . وهناك من يضيف سمة اخرى للانتماء القبلي او العشائري الى جانب النسب والرابطة الدموية، بل يذهب الى ما يتفق عليه محمد عابد الجابري مع مقدمة ابن خلدون ، على ان العصبية هي رباط يشد افراد القبيلة مع بعضهم البعض فضلا عن ذلك يعرف الجابري العصبية بانها : رابطة اجتماعية-سيكولوجية شعورية او لاشعورية معا تربط افراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطا قويا ومستقرا وبتعزز او يشتد عندما يكون هنالك خطرا يداهم او يهدد أولئك الأفراد والجماعة داخل القبيلة [24] . هذا الحال يجعل من الرابطة القبلية بان تقوم على مجموعة أسس ترسخ من قوة الصلاة او الروابط ابتدءا بالقرابة والنسب وصلة الدم والشعور بالانتماء- العصبية ووجود مصالح مشتركة بين الفرد وأعضاء جماعته ،فضلا عن الروابط الجغرافية ونوع من التنظيم السياسي والاجتماعي والإحساس بوجود تهديد خارجي .

وكثير من الشواهد تؤكد بان المجتمع الليبي يتميز بالتركيبة القبلية كما اسلفنا، وان جميع الليبين هم بالأساس ينتمون الى قبائل ، وبحسب عالم الاجتماع الليبي مصطفى التير بان ليبيا قائمة على تناثرمجاميع من القبائل في العديد من الأماكن والجزر القبلية الصغيرة منها والكبيرة مما يصبح

---

[20] - خالد عبد الرحمن الجرسي ، العصبية القبلية من منظور إسلامي ، ملحق فتاوى كبار العلماء واللجنة الدائمة للافتاء ،السعودية، د.ت ، ص26 .

[21] - ينظر : علي اسعد وطفة ، التحديات السياسية والاجتماعية في الكويت والوطن العربي ، بحث في مضامين الوعي السياسي عند طلاب جامعة الكويت ، مجلة عالم الفكر، الكويت ، العدد 3، اذار ، 2003 ، ص 14 .

[22] -القران الكريم ، سورة النساء ، الاية 59 .

[23] - نقلا عن : علي الوردي ، في الطبيعة البشرية ، : محاولة فهم ماجرى ، تقديم سعد البزاز ، مؤسسة المحبين ، إيران ، 1996 ، ص41 .

[24] - حسن يوسف الفطروني ، معوقات بناء الدولة واشكاليات استقرار النظام: مقاربة سياسية وسوسيولوجية من منظور المدخل البنيوي- الوظيفي ، بنغازي ، ليبيا ، د.ت، ص21 .

امر تمييزها بالغ الصعوبة او ليس بتلك السهولة [25] .ومن مخاطرالقبلية في المجتمع انها تناهض حركة التطور.وتكبح جماح الحداثة والتطوربكل معانيها واتجاهاتها كما تنعكس جدلية الصراع الاجتماعي في المجتمع وبدلا من ان تؤدي الى تبلور التكوينات الاجتماعية تبلورا حديثا وفق اتجاه المعايير الانجازية Achievement criteria فانها تنعكس الى معايير ارثية Ascriptive criteria التي تستنفرالولاءات التقليدية والقائمة على اساس القبيلة او العشيرة اوالمذهب او الدين التي تقف بوجه وحدة المجتمع وتقدمه واستقراره بمايخلفه من قيم عقلية جامدة ومعايير مخالفة للوجود والتفكير والممارسات العقلانية المتطورة [26] . كما ان القبلية والعشائرية عندما تسود في اي مجتمع ومنها ليبيا موضوع الدراسة تكون اكثر مدعاة للعنف وعدم الاستقرار والتوتر الاجتماعي وقد تتطور الى نشوب حرب اهلية ، بمعنى اخران عدم الانسجام المجتمعي يهدد وحدة المجتمع في الصميم ويؤثر على امنه واستقراره ووجوده .

المبحث الثاني : قراءة في البنية القبلية والعشائرية في ليبيا:- هنالك العديد من القبائل العربية في ليبيا ، والبالغ عددها أكثر من (140) قبيلة ، والتي تنقسم الى عدة فروع وعشائر(*)، ومن ضمنها قبائل كبيرة ، وهي المهيمنة نوعا ما على الحياة السياسية في ليبيا [27] من أبرزها الآتية.

1- **قبيلة الإشراف**: تتمركز هذه القبيلة في مدينة ودان وزوبلة في وسط ليبيا، كما ينتشرون في معظم انحاء ليبيا ، وهم من سلالة الإمام علي بن أبي طالب (ع) [28].

2- **قبيلة ورفلة** :- تعد هذه القبيلة من كبريات القبائل الليبية ، وأوسعها انتشارا ، وتتمركز هذه القبيلة جنوب شرق العاصمة طرابلس ، وكذلك يتواجد عدد من أبناءها في بنغازي وسرت [29] .

3- **قبيلة القذافة**: وهي قبيلة الرئيس الراحل (معمر ألقذافي) والتي ينحدر منها، ايضا جاء صيته أثناء مسيرته، في حكم البلاد منها ، وتؤكد كثير من المصادر الداخلية، في ليبيا بان قبيلة القذاذفة ، كانت صغيرة في الأصل ، وليس لها تلك الأهمية، والصيت على المستوى الداخلي في ليبيا قبل ان يصل القذافي الى الحكم في العام 1969 ، الا انه أصبح لها المكانة الاعتبارية والأهمية الكبيرة بعد ذلك اي بعد استلام السلطة[30].وتتمركز هذه القبيلة في سرت وطبرق وبنغازي وطرابلس وفزان وغريان والزوية الغربية، واتسمت قبيلة القذاذفة بانها اكثر تسلحا

---

[25] - مصطفى عمر التير ، أسئلة الحداثة والانتقال الديمقراطي في ليبيا : المهمة الصعبة ، منتدى المعارف ، بيروت ، 2013 ، ص63 .

(*)- تصنيفات اخرى ومنها القبيلة (الجذم Race-(الجمهور Ethic) – (الشعب people)- (البطن souse-fraction)- (الفخذ segment)- (والرهط family) وغيرها ، لمزيد من التفصيل ينظر : متعب مناف جاسم ، مصدر سبق ذكره ، ص 4-6 .

[26] - علي اسعد وطفة ، اشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية –لبنان ، العدد 282 ، 2002 ، ص101 .

[27] - عبد اللطيف حجازي ، مصدر سبق ذكره ، ص5-6 .

[28] - نور الهدى بن بتقة ، مصدر سبق ذكره ، ص 148 .

[29] - عبد اللطيف حجازي ، المصدر السابق ، ص6 .

[30] - مصطفى شفيق علام ، مصدر سبق ذكره ، ص 136 .

وقوة من بين القبائل الاخرى ، اذ يقع عليها مهمة حماية الرئيس القذافي وعائلته اثناء حكمه اي قبل قيام الثورة عليه[31]

4- **قبيلة الزنتان** :- هي قبيلة امازيغية كبيرة ، تتواجد في مدينة الزنتان ، بمنطقة الجبل الغربي (جبال نفوسة)، لقد تولى عدد من ابنائها مناصب في المؤسسات الامنية في اثناء فترة حكم القذافي[32] .

5- **قبيلة الطوارق** :- قبيلة امازيغية أيضا متواجدة في مدينتي (غات) و (غدامسي) بأقصى الجنوب الليبي ، تتوزع هذه القبيلة في داخل الصحراء المتاخمة بالقرب من الحدود مع الجزائر وتشاد والنيجر ومالي، وقد كانت هذه القبيلة محرومة من حقوقها ومضطهدة من قبل النظام الحاكم اي حكم القذافي وقتئذ، فقد حرم أبنائها من حمل جواز السفر والرقم الوطني [33] .

6- **قبيلة ترهونة** : يتركز أبناء هذه القبيلة في مدينة (ترهونة) جنوب شرق طرابلس، ويشكل أفرادها نحو ثلث سكان طرابلس ، وتعد من اكبر القبائل في ليبيا ، وتضم مجموعة من القبائل الفرعية والبالغ عددها بنحو (65) قبيلة ، وكان لأبنائها دور في القتال مع القذافي ، ويمثلون غالبية الجيش الليبي في مرحلة حكمه اي حكم القذافي [34] .

7- **العبيدات** : يبلغ عدد افراد هذه القبيلة نحو مايقارب (300) الف نسمة ، وتتواجد في اقصى الشرق الليبي ، وان الكثير من ابناء هذه القبيلة كانوا ظمن الخطوط الاولى في المجال الامني لحكومة القذافي في وقتها [35] .

8- **المقارحة** :يتركز تواجد هذه القبيلة في وسط وغرب ليبيا، وتعد ثالث اكبر القبائل في ليبيا ، وكان يعمل الكثير من أبنائها في القيادات العليا لحكومة القذافي[36] .

9- **قبائل المقارية والبراعصة والعوافير والمسامير** : تتواجد هذه القبائل في منطقة الجبل الاخضر في اقصى الشرق الليبي ، وقد استولت هذه القبائل على العديد من المواقع والمراكز الامنية والعسكرية اثناء الفترتين الملكية والجماهيرية[37] .

10-**اولاد علي** :وهي قبائل عربية تتواجد على طول الحدود الشرقية في ليبيا ولها تداخل مع القبائل المصرية المتواجدة في الصحراء [38] .

11-**التبو** :من اكبر قبائل الجنوب الليبي ، وهي امازيغية الاصل توجد في مناطق اوزو، غدامس ، اوباري وكفرة والقطرون وتتميز هذه القبيلة عن بقية القبائل باحتفاظها بخصوصيتها الثقافية واللغوية [39] .

---

[31] - ينظر : دهام محمد العزاوي ، مصدر سبق ذكره ، ص 10 .
[32] - عبد اللطيف حجازي ، مصدر سبق ذكره ، ص 6.
[33] - نقلا عن : مصطفى شفيق علام ، مصدر سبق ذكره ، ص 136 .
[34] - عبد اللطيف حجازي ، المصدر السابق ، ص 6-7 .
[35] - دهام محمد العزاوي واخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص10-11 .
[36] - المصدر نفسه ، ص10 .
[37] - عبد اللطيف حجازي ، مصدر سبق ذكره ، ص6 .
[38] - نور الهدى بن بتقة ، مصدر سبق ذكره ، ص149 .

12-**اولاد سليمان** : تعد من ابرز القبائل العربية في الجنوب الليبي وكبرياتها، اذ كانت تحكم اقليم فزان خلال الفترة (1830-1842) فهي تتكون من مجموعة قبائل صغيرة متواجدة في منطقة سرت وفزان ، ولديها امتدادات مع دول الجوار كمصر وتشاد وتونس والنيجر، وقد تولى عدد من ابناء القبيلة مناصب قيادية مهمة في ليبيا اثناء فترة حكم القذافي[40] .

مما تقدم يمكننا القول :- ان القبيلة في منطقة الجزيرة العربية ، والخليج العربي بشكل عام ، وليبيا بشكل خاص ، موضوع الدراسة قد شكلت كيانا اجتماعيا ، يتميز بطابع الاستقلال السياسي ، اذ تضمن القبيلة لأفرادها، نوعا من الحماية، والرعاية التقليدية ، وتوفر لهم نوعا ما من التنظيم العائلي -والاقتصادي ، لاسيما كان الطلب قديما يقوم على توفر منابع المياه، والرعي في دورة من التنافس الشديد، بين القبائل الاخرى ، وكان دور القبيلة في الماضي حيويا ، وأساسيا ، اذ لم تكن الدولة الوطنية ، قد تأسست -وتشكلت بواقعها الحالي. لذا نجد اليوم ان النظم السياسية ، حريصة على كسب ود ودعم القبائل ، لاسيما في ليبيا ، والعراق ، واليمن والسودان ، والأردن وغيرها، لما لها من تأثير في الحياة السياسية واستقرارها .

المبحث الثالث : النظرة إلى القبيلة كقاعدة في العمل السياسي مرحلة ما قبل ثورة يناير/كانون الثاني 2011 .

لا يكاد يخلو اي مجتمع من مجتمعات العالم ، مهما كان حجمه ، من وجود طوائف متعددة فيه، بحكم تنوع الأديان ، والهجرات ، والحروب التي مرت بها المجتمعات الإنسانية بصورة عامة ، ومن هنا وبعد عرض لأهم القبائل واكترها تأثيرا في الساحة الليبية ، يمكننا القول بان الساحة الليبية تتشكل من مجتمع قبلي ، يرجع الانتماء فيه الانتماء للهوية الوطنية ، من خلال الانتساب الى القبائل الرئيسة والمؤثرة ، لهذا السبب وغيره نجد بان اي زعيم له الثقل السياسي ، لا يستطيع تجاوز تأثير وفاعلية القبيلة في العملية السياسية ، الأمر الذي أصبح بموجبه بان تكون القناعة لدى المجتمع الليبي ، بأنه لا أمان ولا حماية وقت الأزمات والصراعات ، بعيدا عن دور القبيلة[41] ، ومن خلال الرجوع قليلا بالتاريخ ، نجد الكثير من الشواهد و المعلومات التي تؤكد إلى ان الهيمنة العثمانية وقتها كانت سببا في تنشئة وتدريب القبائل الليبية على معارضة الدولة ، وبناء كيانات مستقلة بطابع قبلي ، لذا عاشت القبائل قرونا من الزمن ، في أحوال اما متمردة على السلطة او خاضعة لها . بمعنى آخر يكون دورها في احد الخطين: ، أما أن تتحالف مع السلطة المركزية القائمة ، من اجل ان تحقق مكاسب ومغانم مادية خاصة ، او ان تحارب وتلجا إلى حمل السلاح لحماية الأرض والعرض، بسبب الظروف الصعبة التي كانت سائدة أثناء الهيمنة العثمانية سالفة الذكر ، فضلا عن محاربة القبائل المتمردة الأخرى[42] . وفي ليبيا الملاحظ ان الانقسامات الأكثر فاعلية فيها ، تكمن في تلك القائمة الطويلة من الولاء القبلية ، اذ يوجد في ليبيا تقريبا أكثر من (140) قبيلة (كما ذكرنا سلفا) وعائلة كبيرة ، مؤثرة حوالي (30

---

[39] - **عبداللطيف حجازي ، المصدر السابق ، ص 9 -10 .**
[40] - **نورالهدى بن بتقة ، المصدر السابق ، ص 150 .**
[41] - **المنصف وناس ، ليبيا التي رايت ...ليبيا التي ارى ، مصدر سبق ذكره ، ص130 .**
[42] - **المنصف الوناس ، المصدر السابق ، ص 131.**

) منهم فقط لهم نفوذ سياسي كبير، فيما يتصارع الجميع حول هذا النفوذ وفيما يلي خارطة التوزيع الجغرافي لتلك القبائل[43] . ينظر خارطة (1) .

خارطة (1) تبين التوزيع القبلي في ليبيا

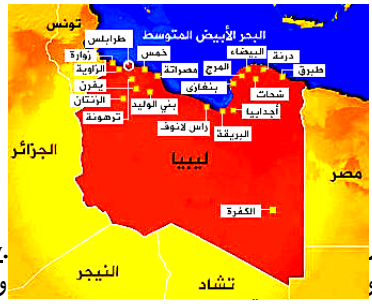

المصدر :- التوزيع القبلي على الر **https:// www.coptichistory.**

وقد كان للقبائل الليبية ، الدو وإسلام البلاد ، رغم المشاكل العالقة بيها لأكثر من (14) قرنا . اذ ساهمت القبيلة على مدار تاريخ ليبيا في معارك التحرير والاستقلال من الاستعمار، وعلى وجه الخصوص الاستعمار الايطالي ، ومقاومة الإطماع الأجنبية – مما أصبحت أسماء القبائل الليبية ترتبط بما قدمته من شهداء في حروب ليبيا ضد المستعمر الايطالي [44]. وكذلك كان للقبيلة في ليبيا المساهمة في إدارة شؤون الحياة السياسية ، اذ كان للزعماء من القبائل والمعروفين ب (الأعيان) الدور الفاعل في إدارة شؤونهم المحلية بسبب ضعف الحكومة المركزية ، الأمر الذي افرز الى ان يكون للقبيلة الدور المهم والرئيس في تشكيل مؤسسات الدولة، والدفاع عنها ، لاسيما مع بداية تأسيس الدولة الليبية الحديثة عام 1959 ومنحها الاستقلال ، وفرض السيادة على أقاليمها الثلاث : (طرابلس ، برقة ، وفزان) والتي كانت تدار من قبل حكام يتمتعون بدرجة كبيرة من الاستقلالية ، وانعكس ذلك على تحكم القبيلة في الحياة السياسية بشكل واضح وقوي [45] . بينما نجد في الجانب الثاني او الآخر وهو المهم – ان قيادة الدولة الليبية لعمليات التطور والتنمية ، أي التحديث منذ اكثر من نصف قرن مضى ، الا انه لم ينتهي من دور القبيلة او يضمحل [46] . بمعنى اخر ان القبيلة لايمكن ان تكون جزء متفاعل بشكل ايجابي من عمليات التحديث والتطور الديمقراطي الذي ينتظره الشعب الليبي منذ الاستقلال [47] . وحتى بعد هذا الاستقلال وإعلان الملكية (السنوسية) ، وقتها عمل المؤسسون على تشكيل عملية سياسية مدنية متجاوزة القبلية ، وتقليص دورها في الحياة السياسية ، فضلا عن الاقتصادية ، والمحاولة في اندماجها في المجتمع ، لكن تلك المحاولات لم تجد لها النجاح ،

---

[43] - دعاء محمود محمد ، تحديات عملية التحول الديمقراطي في بعض دول الشمال الافريقي ، القاهرة ، المكتب العربي للمعارف ، 2018 ، ص158 .

[44] - مصطفى عمر التير ، مصدر سبق ذكره ، ص 63 .

[45] - عبد اللطيف حجازي ، الشبكات والتفاعلات القبلية والسياسية في ليبيا ، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية ، العدد38 ، 2017 ، ص5 .

[46] - ينظر : يوسف محمد جمعة ، مصدر سبق ذكره ، ص137 .

[47]-المنصف وناس، الشخصية الليبية،ثالوث القبيلة والغنيمة والغلبة،الدار المتوسطة للنشر،تونس،2014،ص 86.

أي استمرت القبلية - والعشائرية لها الدور والتأثير في الحياة السياسية[48] ، كما انها تمثل مجال انتخابي مهم ومؤثر في الاستحقاقات السياسية ، الحال الذي مثل في غاية الصعوبة من تجاوز الدور القبلي والعشائري في تأسيس النظام السياسي الليبي حتى الوقت الحالي [49] . ومع استلام القذافي الحكم على اثرانقلاب عام 1969 واعلان الجمهورية بدلا عن الملكية حاول ان يكون في بداية حكمة اصلاحيا، وقد رفع شعارات رافضة ومعادية للقبيلة وقد عدها وقتئذ بحسب قوله ب(القوات الرجعية) [50] . لكن الواقع ان العامل القبلي لم ينتهي من في التاثير على العملية السياسية ، أي ان نظام القذافي كان مستندا على القبيلة في مجال عمله من خلال تقسيم العمل السياسي وتوزيع الادوار والمهام [51] . وهذا الحال انتج بان تكون الحياة السياسية، تعاني من فراغ دستوري في تطبيق دولة المؤسسات ، وانعدام القدرة على تكوين الاحزاب والنقابات ، بسبب الاعتماد على القبلية وعدها بالمظلة الوطنية الرئيسة، واحيانا المنفردة التي يستطيع من خلالها المواطنون ممارسة اوجه النشاط العام بصورة شبه مستقلة وهو الامر الذي اوجد قيادات قبلية اجتماعية تعمل على توفير الحماية وتحصيل الحقوق والوظائف في دوائر الدولة كلا حسب قربه وولائه للنظام الحاكم ، وفقا لذلك ازدهر دور القبيلة طول فترة حكم القذافي وتحت هيمنة الاخير. وعليه فان دور القبيلة في مرحلة حكم القذافي مر بمرحلتين : الاولى – مرحلة التذويب والتهميش، والتي بدلت مع بداية حكمه والتي عمد فيها التى تحجيم دور القبائل . والثانية : كانت في مرحلة الاحتواء والتوظيف ، أي استغلال القبيلة من خلال جعلها تتحكم في عموم الحياة السياسية [52].

وان المتتبع للواقع الليبي يجد ان الغالبية العظمى أي (80%) من سكان ليبيا لازال متمسك بالانتماء القبلي والعشائري ، وعليه نجد إن الواقع المجتمعي الليبي هو:- عبارة عن : مجموعة من الأقليات المتصارعة ، اذ الانقسام الجغرافي- والتاريخي بين أقاليم (برقة) في الشرق و(طرابلس) في الغرب و(الفزان) في الجنوب ، فضلا عن الانقسام ألاثني داخل تلك الأقاليم ذاتها ،فمثلا في الجنوب الصراع التاريخي بين العرب (الزنتان) ، والوافدين الأتراك (الكراغلة)- أصول اهل مصراتة ، وكذلك الصراع بين (التبو) ذو الأصول الأفريقية ، والذين لطالما استخدمهم ألقذافي في صراعه مع التشاد و(الامازيع)، الذين يرون انه تم تهميش لغتهم ، وثقافتهم على مدى العصور السابقة، فالصراع بعد الثورة كان مستمرا بين كل هذه القبائل ، والطوائف وبينهم ، وبين الدولة[53]. وهذا كله انعكس على عملية التنمية ، والتحديث. وبحسب عالم الاجتماع الليبي مصطفى التير والذي يقول : (بان قوة الولاء القبلي ساهمت بشكل كبير في عرقلة بل وتخريب بعض برامج تحديث وتنمية المجتمع ، ويضيف ايضا ، عندما يتقدم الولاء

---

[48] - احمد ابراهيم الفقيه ، ليبيا: القبيلة الدور وحدوده : على الرابط الالكتروني .. http:// www.alarabua.net/ar/politice 2016

[49] - احمد علي ابراهيم ، مصدر سبق ذكره .

[50] - نقلا عن ، دهام خميس العزاوي ، مصدر سلق ذكره ، ص181 .

[51] - محمد علي داهش ، مصدر سلق ذكره ، ص 97 .

[52] - مصطفى شفيق علام ، مصدر سبق ذكره ، ص 136 .

[53] - وليد حدوق ، ديناميكيات الانقسام المجتمعي بعد الثورة في ليبيا : الاقليات ورهان المواطنة ، في جورجفهمي واخرون ، المواطنة والمكونات الاجتماعية في المنطقة العربية ، القاهرة : مندى البدائل العربي للدراسات ، 2015 ، ص 56 .

على الكفاءة لا يتوقع ان يحدث في المجتمع تحديث اجتماعي او سياسي باي شكل من الأشكال)[54] . وتبرز مخاطر تنامي القبلية والعشائرية في المجتمع : من خلال انعكاس تأثيرها على درجة الاستقرار السياسي في المجتمع ، بمعنى اخر انه في مجال العمل السياسي يفترض ان يتم الاختيار لأشخاص تتسم بالمهنية والكفاءة لممارسة ذلك العمل ويتم من خلال الانتخابات العامة بواسطة الاقتراع العام ، لكن الذي حصل هو عكس ذلك أي يتم الاختيار بالطريقة التقليدية المعروفة في الشارع الليبي لاسيما في القرى ، الا وهو الاتفاق بين القبائل لتخصيص المناصب لكل قبيلة ، ومن ثم يتم اختيار الأسماء ممن يتسم بالنشاط والمهارة السياسية من القبائل ، وهنا سيكون لعمليات (المحسوبية والتزوير والفساد) الدور المؤثر من خلال عمليات تنصيب لحملة الشهادات المزورة ، والتي يتم الحصول عليها بطريقة التزوير ، والتي وصفت بـ(الهشك بشك) ولها أمكان خاصة بالحصول عليها من دكاكين تحمل يافطات او عناوين تدعي انها جامعات ، وقد مارس الرئيس الراحل معمر القذافي [55] خلال مدة حكمه الممتدة من(1969- 2011) على وتر استثمار (القبيلة) لتثبيت أركان نظامه واستمرار حكمه لأطول فترة ممكنة من خلال تقريب بعض القبائل ذات الثقل في المجتمع من حاشيته ، وكان يغدق او يبذخ عليهم الهدايا والمزايا ، لضمان ولائهم الخاص لحكمه ، من اجل فرض السيطرة على بلاده وقبائلها المتعددة ، وهذا ماحصل لمدة (اربعة) عقود من التحكم المفرط ، بجميع المحيطين به ، هذا السلوك او التصرف من لدن القذافي قد افرز الى اعتماد الليبيين على قبائلهم ، لا يجاد الحماية وتحصيل الحقوق من وظائف في أجهزة الدولة ، كل بحسب قوته وعلاقاته القبلية او درجة قربه ، وولائه لنظام الحكم في وقتها . الملاحظ ان القذافي كان يتعامل مع القبائل بخطين ، الاول : كان يتظاهر بالإطاحة بسلطة القبائل . اما ثانيا : وهو مايشير اليه الواقع الفعلي ، والقائم على تعزيز مكانة ودور القبائل في ليبيا [56]. وعليه فقد حضت القبائل في عهد القذافي بمكانة مهمة من خلال توظيفها في حماية نظامه السياسي وقتها ، بشكل يشبه تقريبا نظام (المحاصصة) القائم على الأمر والطاعة ، لرأس النظام(القذافي) ! ، اذ كان يتعامل مع القبائل بطريقة تشبه (العصا والجزرة) ، فالقبائل الموالية او المطيعة للنظام ، كانت تحظى بمكانة ومتميزة ولها الامتيازات المادية والمعنوية الممنوحة لها ، فضلا عن المناصب السياسية والأمنية في دوائر الدولة بينما تعامل عكس ذلك مع القبائل المعارضة وأصابها التهميش والحرمان من تلك الامتيازات والهدايا

---

[54] - مصطفى عمر التير ، مصدر سبق ذكره ، ص 65 .

[55] - معمر محمد عبد السلام القذافي (7 يونيو 1942 - 20 أكتوبر 2011). المعروف باسم العقيد القذافي. كان سياسياً وثورياً ليبياً. وفي الواقع كان حاكم ليبيا لأكثر من 42 سنة وصل القذافي إلى السلطة في إنقلاب عسكري خلع به الملك إدريس السنوسي ملك المملكة الليبية في العام 1969 وظل رئيساً لمجلس قيادة الثورة حتى عام 1977، عندما تنحى رسمياً من رئاسة مجلس قيادة الثورة، ونصب نفسه "قائداً للثورة". في عام 2008 عقد اجتماع لزعماء أفريقيا ومنح لقب "ملك ملوك أفريقيا" ومدافعاً رئيسياً عن الولايات المتحدة الأفريقية، وشغل منصب رئيس الإتحاد الأفريقي في الفترة من 2 فبراير 2009 إلى 31 يناير 2010. استبدل القذافي الدستور الليبي لعام 1951 بقوانين استنادا إلى عقيدة سياسية سميت ب النظرية العالمية الثالثةيصف النقاد القذافي بأنه كان المستبد في ليبيا أو الغوغائي، في فبراير 2011، وفي أعقاب الثورات العربية في الدول المجاورة في مصر وتونس، بدأت الإحتجاجات ضد حكم القذافي وتصاعد هذا التوتر إلى الإنتفاضة في جميع أنحاء ليبيا، وقد قتل القذافي من جانب مقاتلي جيش التحرير الوطني وأذنت لانتهاء فترة حكم امتدت لاثنين وأربعين عاماً كما ذكروهي الأطول مدة في تاريخ ليبيا ، ينظر: المصدر نفسه.

[56] - فيجي برشاد ، مصدر سبق ذكره ، ص 174 .

[57]. مثلا لذلك فقد اعتمد القذافي في تجنيد الضباط على ثلاث قبائل وهي (القذافة، والمقارحة ، وورفلة) وكانت هذه القبائل الساندة لنظامه السياسي ، أي ان القبائل التي كانت موالية للقذافي يعطي لها المال وفرص العمل ، من اجل شراء وكسب ودها للوقوف في وجه أي معارضة داخلية لاسيما في الإقليميين الجنوبي والشرقي من ليبيا [58]. بالجانب الاخر كان القبائل غير الموالية او المعارضة للنظام تواجه (العقوبات والقمع والحرمان) من ابسط الحقوق السياسية، والمدنية ، وهذا يؤشر الى ان فترة حكم الراحل معمر القذافي تشير الى الحضور الكبير للفاعل او العامل القبلي في سياسة توظيف القبائل في خدمة مصالحه الخاصة على حساب المصلحة الوطنية ، وهو كان يعلم بثقافة القبيلة المرسخة فعمد على استغلالها لصالحه وإعادة إنتاجها، بشكل يحقق طموح استمراره بالحكم . ففي عام 1977 مثلا قام بتأسيس ما يسمى (بالنوادي القبلية) ، وكان الغرض منها مراقبة تطلعات وتحركات الشباب وتضييق المراقبة على المناطق المحلية ، التي يوجس منها أي تطور او خطر ، قد يؤدي منه الى الحركات الاحتجاجية الاجتماعية [59] . أيضا عمل على تأسيس مؤسسة تعرف ب (القيادات الشعبية الاجتماعية) والتي تضم اغلب القيادات القبلية ، والغرض من نشأة تلك المؤسسة هو لمراقبة أي معارضة كما أسلفنا ، من اجل مواجهتها والغرض الرئيس هو محاولة اختراق القبائل الليبية ، وكسب ولاءها بأي ثمن ، لأجل إفشال أي مخطط او ظهور أصوات معارضة، تنادي بها القبائل [60]، ايضا حصل إنشاء ما يسمى (بتنظيم الحرس الشعبي) والذي ضم كبار السن من القبائل المتطوعين لحمل السلاح ، والدفاع عن النظام السياسي وقتئذ ، مقابل الحصول على الامتيازات المادية والمعنوية [61] . وكذلك فرض العقوبات على أفراد أي قبيلة تعارضه، وإبعاد أبناءها من مؤسسات الجيش والسلطة ، مثلا تم نفي العديد من أبناء (مدينة الوليد) عندما حاول أبنائها بحركة الانقلاب ضد القذافي في عام (1996) اثر تلك المحاولة قام القذافي بإعدام الجناة القائمين بتلك المحاولة عام 1997 ، الأمر الذي أنتج حالة من التوتر والنزاع بين نظام القذافي وتلك القبيلة وتم حرمان وإبعاد ابناء تلك القبيلة من جميع مؤسسات ودوائر الدولة [62] ، وهذا يؤشر الى ان فترة حكم الراحل معمر القذافي تشير الى الحضور الكبير للفاعل او العامل القبلي في سياسة توظيف القبائل في خدمة مصالحه الخاصة على حساب المصلحة الوطنية ، وهو كان يعلم بثقافة القبيلة المرسخة فعمد على استغلالها لصالحه وإعادة إنتاجها بشكل يحقق طموح استمراره بالحكم . وفقا لذلك لم يكتفي القذافي عند ذلك الحد ، من استثمار القبائل ، فقد اصدر ما يسمى ب (وثيقة الشرف) والتي صادق عليها مؤتمر الشعب في 1997 ، ووقعت عليها القبائل وتعهدوا بموجبها بتقديم الدفاع والولاء للنظام السياسي ، ضد أي تهديد يشكل خطر لأمن ، النظام وديمومته ، فضلا عن الوقوف بوجه أي قبيلة تقوم باي معارضة ، والتأكيد على أحقية هذا النظام بتطبيق العقوبات

[57] - ينظر: دهام العزاوي ، مصدر سبق ذكره ، ص 9.
[58] - علي عبد اللطيف احميدة ، مصدر سبق ذكره ، ص 21 .
[59] - محمد ضياء الدين ، مصدر سبق ذكره ، ص48 .
[60] - احمد علي ابراهيم ، مصدر سبق ذكره ، ص 35 .
[6161] - محمد نجيب ، الابعاد السياسية للظاهرة القبلية في المجتمعات العربية ، مقارنة سوسيولوجية للثورتين التونسية والليبية ، قطر – الدوحة ، المركز العربي للابحاث ، 2-11 ، ص 11 .
[6262] - فيجي براشاد ، مصدر سبق ذكره ، ص 177 ، وكذلك ، دهام العزاوي ، مصدر سبق ذكره ، ص 9 .

الجماعية للقبائل المعارضة للنظام من خلال الحرمان من الخدمات الحكومية وإبعاد أبنائها من العاملين في دوائر الدولة[63]. هذا السلوك قد اصبحت القبائل بموجبه وسيلة ناجحة للتوظيف السياسي اكثر من كونها تركيبة مجتمعية تسكن في ليبيا ، أي القبيلة في فترة حكم القذافي تحولت الى وسيلة يعتمد عليها الفرد للاحتماء من الدولة ، ووسيلة للدولة للاحتماء من الإفراد[64] وهذا الحال بمجمله قد حول القبيلة الى شريك رسمي في العملية السياسية الليبية، فازدهرت القبيلة طوال فترة حكم القذافي ، والتي استمرت لفترة أربعة عقود، تحت سطوة وأوامر سياسته وفي السياق نفسه استخدم القذافي–عائدات النفط في شراء ولاء القبائل من خلال توزيع عوائد النفط على اعضاء القبائل الموالية له ، فضلا عن دعم مايوفر متطليات الحياة اليومية من فرص عمل وتعليم بصورة مجانية لجميع المواطنين ، وعلى هذا المسار استطاع القذافي طيلة حكمه من توظيف قبائل كبيرة وصغيرة لصالح بقاءه بالحكم ، وعلى هذا الواقع أعطي لهذه القبائل من واجب الدفاع عن حكمه الى اخر لحظة ، لكن بالمقابل سياسة التهميش والفساد والإذلال والتفرقة بين القبائل والمواطنين قد توسعت الى مناطق جغرافية بالكامل الامر الذي انتج قيام الحراك والاحتجاجات الجماهيرية التي وصلت ذروتها بقيام ثورة17يناير2011وإسقاط حكم استمر أكثر من أربعة عقود مضت.

وهنا يمكن القول بان القبيلة ليس تنظيما سلبيا غير مرغوب فيه ، لكن المشكلة اين ؟ نجد ان المشكلة تكمن في طريقة استغلال هذه التركيبة المجتمعية في خدمة الوطن من عدمه ، وكذلك تكمن المشكلة في درجة قوة الانتماء ، أي عندما يكون الانتماء يصل الى درجة التعصب ، فان الخطر يكون في تعارض هذا اللون او النهج التقليدي للولاء مع ولاءات المجتمع الحديث ، والمتمثل في الولاء للجماعات التي ينتمي إليها الفرد في المجتمع الحالي انطلاقا من جماعة (الدراسة والرفاق الى جماعة السكن ضمن الرقعة الجغرافية الى جماعة العمل والنوادي ، والجماعة الحزبية و السياسية) وغيرها إلى الولاء الأهم ذو المجال الشامل كالولاء للوطن والهوية الوطنية المتسمة بروح المواطنة الحقيقية.

المبحث الرابع : القبيلة والعملية السياسية بعد ثورة 17 يناير/كانون الثاني 2011 وأثرهما في الاستقرار السياسي.

يعد الحراك الشعبي الواسع الذي شهدته المنطقة العربية ، خلال العام 2011 وما بعده انعطاف تاريخي في حياة شعوب المنطقة العربية، بشكل عام والساحة الليبية بشكل خاص ، والذي انتهى في إسقاط أنظمة سياسية ، احتكرت السلطة بقوة (العنف والقوة والإذلال والتهميش والفساد) لعقود طويلة من الزمن ، نجدها اي الشعوب قد نجحت ثوراتها بطرق مختلفة بينما كانت نوعا ما سلمية في (تونس) بينما نجدها كانت دموية في (ليبيا) ،اذ سادها عمليات من العنف ، والاقتتال كوسيلة لتحقيق التغيير ، وأعلن عن سقوط مرحلة نظام ألقذافي في 23 تشرين الثاني /اكتوبر 2011 ، ثم جاءت مرحلة ما بعد التغيير ملبدة بأعباء التحديات السياسية ، والاقتصادية ، والأمنية التي كانت نتاج المراحل السابقة ، والذي غلب عليها سلوك (العنف) المسيطر على مجريات الأحداث اي الثورة وما بعدها ، ولم يكن امام المتظاهرين او الثوار الا الإصرار والمضي في سبيل تحقيق مشروع التحول الديمقراطي كبداية لتحقيق مبدأ التداول السلمي للسلطة ، وهنا اتسم الوضع في ليبيا بالانقسام الحاد بين القبائل ، والفصائل المسلحة ، مع دور خارجي

[63] - دهام العزاوي / مصدر سبق ذكره ، ص 10 .
[64] - محمد نجيب بو طالب ، مصدر سبق ذكره ، ص132 .

داعم لهذه الانقسامات وغيرها ، الامر الذي افرز مرحلة جديد في الحياة السياسية الليبية ، اتضحت بالمراحل الآتية :

أولا:مرحلة انطلاق الاحتجاجات (17 شباط/فبراير 2011–17 اذار/مارس 2011).

انطلقت التظاهرات الليبية الهادفة الى إسقاط نظام (القذافي) في 17 شباط/ فبراير ، وبعد عدة أسابيع من مظاهر الفوضى الانفلات الأمني تحول الصراع الى القمع المسلح لتلك التظاهرات واصبح الصراح بين القوات الموالية للقذافي والثوار اكثر عنفا وضراوة ، والذي استمر قرابة الثمانية اشهرلبداية الثورة ، وقد هدد القذافي بتسليح القبائل الموالية له ، عكس هذا التحذير فهم القذافي لبنى المجتمع القبلي عن قدرته بالتلاعب بعامل القبيلة ، اذ كان يسعى القذافي الى تحويل الصراع من ثورة شعبية ضد نظامه الى حرب اهلية تلعب فيها القبائل دورا محوريا ، وقد نجح في الحصول على دعم بعض القبائل مثل (الورفلة - والريانية) التي قاتلت الى جانبه في مجتمع يفككه العداء القبلي ، وبحسب تحليل الشيخ (خليفة الرياني) احد زعماء القبائل من جبل نوسة بقوله : (كانت بعض القبائل لاتعلم عن الاحتجاجات بدقة عندما بدأت الثورة اذ لم يكن لها وسائل التواصل الاجتماعي لتعرف طبيعة الأحداث الجارية وقتها) ، الامر الذي استغلته مجاميع نظام القذافي بان الاخير له السيطرة على الارض فاقتنعت بعض القبائل ورفضت الانضمام الى الثورة لذلك دفعت ثمنا باهظا بعد ذلك الى تفاقم الخصومات القبلية الموجودة أصلا من قبل ، اذ ان العلاقات بين القبائل كانت سمتها التعقيد ، وتم استغلالها بسهولة وتحويلها الى نزاع مسلح يهدد امن البلاد[65] . فبعد سيطرة الثوار على مدينة (بنغازي) في اواخر شباط 2-11 تم الإعلان عن تأسيس (المجلس الوطني الانتقالي) بهدف تنسيق جهود الشعب الثائر بكل قبائله وفصائله الرافضة للنظام من اجل إسقاط الأخير ،وفي 12 آذار طلبت جامعة الدول العربية من مجلس الامن الدولي الى فرض منطقة حظر جوي على ليبيا [66] . ان الثورة الشعبية قادت الى بروز التطبيق القبلي بشكل ملفت للنظر، هنالك قبائل اما اخفقت او تلكات او انه لم يكن بأمكانها القيام بافعال اكثرفاعلية لخدمة التغيير ربما لاسباب مطابقة لما اشرنا اليها سابقا من خلال تعامل القذافي العنيف مع القبائل المعارضة لحكمه . بينما هنالك قبائل مثل (ترهونة وورشفانة) ولاهميتها على الساحة الليبية وتحكمها بمداخل طرابلس مثلا حرص النظام السياسي على محاصرتها للحيلولة دون التحاقها بمسيرة الثورة، اذ عمل وقتها على ارهابها مما اجبرها على عدم الالتحاق بالثورة[67]. لذلك شهدت الاحداث في المشهد السياسي بروز انقسامات حادة على المستوى الاجتماعي والسياسي بشكل عام وعلى المستوى القبلي على وجه الخصوص في مناطق مختلفة[68]، أي ادى استغلال القذافي للقبيلة قبل سقوطه الى تفاقم الخصومات القبيلية، والتي هي بالاصل كانت سائدة وقتها وهذا مايشير الى العلاقات المعقدة بين القبائل، وكيف تم

[65] - ابراهيم شرقية ، اعادة اعمار ليبيا ، تحقيق الاستقرار من خلال المصالحة الوطنية : دراسة تحليلية صادرة عن مركز بروكنيجز ، الدوحة ، العدد 9 ايلول ، 2013 ، ص29-30 .

[66] - مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان ، التقرير السنوي لحقوق الانسان في العالم العربي ، القاهرة: مركزالقاهرة لدراسات حقوق الانسان ، 2012 ، ص162 .

[67] - يوسف محمد الصوائي ، ليبيا بعد القذافي الديناميات المتفاعلة والمستقبل السياسي ، بيروت : المستقبل العربي ، العدد 395 ، 2012 ، ص13.

[68] - المصدر نفسه ، ص14 .

استغلالها، لاثارة الفتن والخصومات الاجتماعية، لكن الذي حصل ان بعض القبائل وصفت بانها ضد الثورة وهذا يعني انها الى جانب النظام السياسي قبل التغيير ، وهذا ماحصل عندما تحالف اهل (الريانية الغربية) مع القذافي، في حين انظم أبناء الزنتان الى الثورة، ليظهر العداء بعدها مابين القبيلتين الى مستويات حادة ،أي بعد التغيير اخذ يصر أهل الزنتان الى ان تدفع قبيلة الريانية ثمن تحالفهم السابق مع الرئيس الراحل القذافي، الامر الذي انتج الى استمرار الصراع وازدياد حدته الى حالة النزوح الجماعي لأسر قبيلة الريانية بعدد (470) عائلة من بلدية الريانية الغربية[69]. لكن الواقع يشير ان بعض هذه القبائل كانت واقعة تحت الضغوط المفروضة عليها من قبل القذافي ومساعديه ، لذلك تعرضت هذه القبائل الى الاتهام والاهانات ومن ثم التقليل من شلنها، فضلا عن الاعتداء عليها من قبل القبائل المعارضة للنظام[70]. وللإشارة لذلك ينظر الجدول(1) والذي يبين موقف القبائل من الثورة.

جدول (1) يبين موقف القبائل الليبية من الثورة والنظام

قبائل رافضة لنظام القذافي	قبائل مؤيدة لنظام القذافي
- البراعصة .	- القذاذفة .
- العبيدات .	- ورفلة .
- ترهونة .	- اولاد سليمان .
- ورفلة .	- ترهونة .
- الزنتان .	- العمامرة .
- الرحيبات .	- امسلاتة .
- كاباو .	- المعدان .
- ادرسة .	- الحرابة .
- نالوت .	- ورشفانة .
- الغزايا .	- المشاشية .
- جادو .	- تاورغة .
- يفرن .	- المقارحة .
- كلكة .	- اولاد يوسف .
- القلعة .	- النوايل .
- العواقير .	- الصيعان .
- الطوارق .	- العجيلات .
- شكشوك .	- الرقيعات .
- الزوابة .	- الريانية .
- زوارة .	- الاصابعة .
- مصراتة .	- القوالش.
- الفرجان .	- قبائل الخمس .
- مصراتة .	- الفرجان (سرت وترهونة) .
- زليطن .	-

المصدر: محمد نجيب بو طالب ، الأبعاد السياسية للظاهرة القبلية في المجتمعات العربية ، مصدر سبق ذكره ، ص16.

وفي 17 شباط / فبراير اصدر المجلس الوطني الانتقالي باعتباره السلطة التشريعية في الدولة القانون رقم (2) لسنة2012 والمتضمن إلغاء فقرات تجريم الحزبية ، وقد نصت (المادة الاولى) من هذا القانون على ما يلي : (يلغى القانون رقم 17 لسنة 1972 ، بشان تجريم الحزبية لتعارضه مع اهداف وتطلعات ثورة 17 شباط / فبراير2011 وقتئذ [71] . وبتاريخ 2/ 5/ 2012

[69] - ينظر : ابراهيم شرقية / مصدر سبق ذكره ، ص30 .
[70] - يوسف محمد الصوائي و ريكاردو رينيه لاريمونت ، مصدر سبق ذكره ، ص 150-151 .
[71] - لمزيد من التفصيل يراجع : المادتين (1) و(2) من القانون رقم (2) لسنة 2012 الصادر من المجلس الوطني الانتقالي المؤقت على الرابط : .https:llmarsd.daamdth.orglarchivesl959 ?lang .

اصدر المجلس الوطني الانتقالي المادة (3) من القانون على انه : (من حق المواطنين الليبين تأسيس الأحزاب السياسية والانتساب إليها وفقا لأحكام هذا القانون ولا يجوز للمواطن ان يكون عضوا في اكثر من حزب واحد في الوقت ذاته)[72] .

ثانيا : مرحلة تدخل العامل الخارجي وإسقاط نظام القذافي (17 اذار/مارس - وحتى -20/ اكتوبر 2011) .

في 17 اذار2011 تم اصدار قرار مجلس الامن الدولي رقم (1973) بإقامة منطقة حظرجوي فوق الاراضي الليبية لمنع حركة القذافي ومساعديه ، من شن هجماعة مقابلة جوية ضد الشعب المنتفض وقد شنت قوات التحالف بقيادة امريكية وبريطانية وفرنسية على أوكار والمواقع العسكرية العائدة للقذافي لوقف الهجمات على المدن الليبية بعد وقوعها تحت سيطرة الثوارعليها، وبعد ذلك سيطرالثوار على منطقة اجدابيا في 26 اذار، فضلا عن السيطرة على مدينة مصراتة في 23 شباط وفي 3 اب 2011 اصدر المجلس الوطني الانتقالي اعلانا دستوريا لتوجيه الفترة الانتقالية التي تمر بها البلاد[73] . وفي 21 آب دخل الثوار مدينة طرابلس وفي الوقت نفسه حصل (المجلس الوطني الانتقالي) على الاعتراف الدولي ، باعتباره السلطة الشرعية في ادارة الحياة السياسية الليبية، وشغل مقعد ليبيا في الامم المتحدة في ايلول / سبتمبر 2011 وبعدها وفي 25 اكتوبرمن العام نفسه ، تم القاء القبض على ألقذافي وقتله في مدينة سرت[74] .كان سقوط القذافي يعد نقطة تحول تاريخية في حياة الشعب الليبي والتفكير في بداية النهوض من كبوته التي استمرت لاكثر من (اربعة) عقود وهذا الحال يتطلب اعادة رسم وصياغة شكل الدولة وكل ماله علاقة بتحقيق الامن والاستقرار بشتى انواعه في الحياة العامة الليبية من حيث توزيع العدل والمساواة في ثرواته وفي إدارة الدولة بمختلف أطيافه [75] .وضمان مستقبل شعبه من خلال وضع بنود دستورية تحدد حقوقه وواجباته تجاه بلده والتي كانت السبب الرئيس في انتفاض الشعب ضد نظامه التسلطي ، والمطالبة الى قيام نظام قائم على أساس مبدأ التداول السلمي للسلطة فضلا عن معالجة المشكلات المتوارثة من العهود السابقة وفك الارتباط بين الدور القبلي الذي استغلته الأنظمة السياسية السابقة المعيق للتنمية والتحديث والتطور اذ كانت قوة الولاء القبلي مساهمة في عرقلة انتقال المجتمع الى مرحلة الحداثة التي أعدت شرطا للتحديث السياسي ، وهذا ينتج عندما يتقدم الولاء القبلي على الكفاءة المهنية يصبح الحديث عن مؤسسات حديثة ضربا من الحديث الذي لامعنى له في جميع المجالات[76] .

ثالثا : المرحلة الانتقالية (20 اكتوبر 2011- 14 وحتى - شباط / فبراير2014) .

---

[72] - ينظر: المادة (3) من القانون رقم (29) لسنة 2012 بشان تنظيم الاحزاب السياسية في ليبيا على الرابط : المصدر نفسه . وكذلك : حسين يوسف القطروني ، الوضع السياسي الليبي(2011- 2016) معوقات بناء الدولة وإشكاليات استقرار النظام :مقاربة سياسية وسوسيولوجية من تطور المدخل البنيوي- الوظيفي ، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات ، ص 18 .

[73] - دعاء محمود محمد ، تحديات عملية التحول الديمقراطي في بعض دول الشمال الافريقي منذ عام 2011 ، المكتب العربي للمعارف ، القاهرة ، 2018 ، ص86 .

[74] - مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان ، مصدر سبق ذكره ، ص166 .

[75] -ينظر : امنة محمد علي ، التحول الديمقراطي وبناء الدولة في ليبيا ، العراق ر، مجلة الكوفة ، العدد17 ، 2014 ، ص 14.

[76] - ينظر :مصطفى عمر التير ، تحديات التحول الى الديمقراطية في ليبيا ، صحيفة الوطن الليبية في 2011/9/23 على الرابط :http:llwww.alwatan.libya.com

بعد مقتل ألقذافي تم إعلان تحرير ليبيا بعد السيطرة الكاملة على العاصمة طرابلس وعليه بدا الجدول الزمني للمرحلة الانتقالية في 23 اكتوبر من العام 2011 والمحدد انتهاء المرحلة الانتقالية في تموز/ مايو 2013 ، واقتضت المرحلة الأولى في تعيين حكومة مؤقتة وإصدار قانون انتخابي وتأسيس المفوضية الوطنية العليا للانتخابات والتهيئة لإجراءات انتخاب الجمعية الوطنية التأسيسية التي تقوم بحل المجلس الوطني الانتقالي في اول اجتماع لها[77] . وفعلا تم انتخاب هيئة حاكمة لكنها لم تستطيع توحيد فصائلها ، بسبب الاختلاف بين القبائل والحركات الإسلامية ودور مناصري النظام السابق ، وفي 14 فبراير 2014 اعلن اللواء (خليفة حفتر) عن سيطرة قوات تابعة له على بعض المواقع العسكرية المهمة في ليبيا ، ايضا تم الإعلان عن تجميد المؤتمر الوطني (البرلمان المؤقت او الحكومة) وخارطة طريق لما اسماه- بمستقبل ليبيا السياسي ومن ثم ظهور رئيس الحكومة الليبية وقتها (علي زيدان) في كلمة : من على شاشة التلفاز نافيا من خلالها حقيقة بيان (حفتر) على ارض الواقع ومؤكدا على ان هنالك تواصلا بين الحكومة والمؤتمر الوطني العام وأشار وقتها الى ان السيطرة على الارض لوزارة الدفاع والجهات الأمنية في الحكومة الجديدة[78] .

وقد كان معظم السلاح الذي حصل عليه الثوار ياتي من غنائم المواجهات مع كتائب القذافي ، ومن السيطرة على مخازن الاسلحة ، ونتيجة للصراع القبلي المسلح خلال الثورة تواجه السلطات الانتقالية تحديات كثيرة في سعيها الى بناء دولة جديدة على انقاض النظام السابق ، ومن هذه التحديات المواجهات القبلية في اكثر من منطقة ليبية اذ ترجع بعض المشاكل القبلية الى مرحلة حكم القذافي قبل الاطاحة بالاخير، لكن البعض الاخر يعد نتاج الثورة التي اندلعت لازاحة النظام والتي قسمت البلاد بين مؤيد ومعارض له ، لاسيما ان الخلافات القبلية تركزت في غرب ليبيا ووسطها .والمعلوم ان المليشيات التي لعبت دورا مهما في الاطاحة بنظام القذافي باتت تشكل مشكلة كبيرة اليوم، ويكتنف الغموض عددها لكونها في عملية مستمرة من التشكل والحل او اعادة البناء استنادا الى جملة من الديناميكيات المحلية [79] . ففي حين يقدرها البعض ب 100 مليشيا بينما يقدرها احرون بثلاث اضعاف الرقم الاخير وهنا اشار تقرير صادر عن الامم المتحدة لمنسق الشؤون الانسانية عام 2015 الى وجود مايقارب (1700) مجموعة مسلحة ومليشيا نشطة في ليبيا ، واتضح بان معظم الجماعات او المليشيات ذات طبيعة جغرافية ترتبط بمناطق محددة بدلا من ارتباطها بأيديولوجية معينة، او الانتماء القبلي او العرقي ونادرا ما تمتلك أجندة سياسية واضحة تتجاوز الدفاع عن مصالحها وتامين بلدانها [80] . ينظر الجدول (1) .

جدول (1) يوضح بعض من ابرز الجماعات المسلحة في الساحة الليبية .

طرابلس وغرب ليبيا	بنغازي وشرق ليبيا	الجنوب ليبيا
- مليشيا فجر ليبيا	- الجيش الوطني الليبي- جماعة اللواء	- مليشيا جماعة الطوارق

[77] - دعاء محمود محمد ، مصدر سبق ذكره ، ص87 .
[78] -المصدر نفسه ، ص 88 .
[79] - فرحاتي عمر و از سليماني مباركة ، التحديات الأمنية في ليبيا مابعد ألقذافي ، تقرير الشرق الأوسط ، العدد (5) ، جانفي ، 2016 ،ص52 .
[80] - المصدر نفسه ، ص52 .

- المجلس العسكري للزنتان - كتيبة الصواعق - المجلس العسكري لطرابلس - كتيبة القعقاع - قوات درع ليبيا - كتيبة النواصي وقوات الردع الحصين - اللجنة الامنية العليا - تجمع مليشيا مصراتة - غرفة ثوار ليبيا - تنظيم داعش مايسمى (الدولة الاسلامية)	حفتر - لواء الصاعقة - أنصار الشريعة - جيش برقة وقوة حماية برقة - جيش الإسلام في درنة - كتائب شهداء 17 فبراير - تنظيم داعش مايسمى (الدولة الاسلامية) - كتيبة شهداء ابو سليم - مجموعات جهادية صغيرة، تمثل امتداد للنصرة وابي محجن الطائفي، جماعة الجهاد والتوحيد - كتائب راف الله السحاتي.	- مليشيا التبو - مليشيا فصائل القبائل العربية

المصدر: - ينظر :وفاء عبد الحسين كاظم، تحديات بناء الدولة في ليبيا بعد عام 2011 مصدر سبق ذكره ، ص 164 .

رابعا : المرحلة الأخيرة (14 شباط 2014 – 2019)

وهنا انقسمت البلاد بين معسكرين مختلفين ، ومتحاربين ممثلة بعملية الكرامة، والأخيرة تحالف يتكون من قبائل المنطقة الشرقية، وأنصار الفدرالية والوحدات العسكرية الساخطة ، وعملية فجر ليبيا ، وهي تحالف بين القوى الإسلامية وجماعة مسلحة من مصراتة علما كل طرف يدعي لنفسه بأنه الأفضل والأجدر بالحكم وكسب الشرعية بحيث لكل منهم برلمانا وجيشا ورئيس حكومة خاص له ،والقائمة لتصدع العلاقة بين المدنيين الذين قاتلوا ظمن ألوية الثورة ضد ألقذافي من جهة والمنشقين عن نظامه والملتحقين بالثورة ، فثم نما تصدع ثان بين الائتلافات الثورية نفسها اي بين المنتصرين[81]. وعليه أصبحت في ليبيا حكومتان متنافستان احدهما في طرابلس والثانية في طبرق .اذ اجتمع مجلس النواب المنتخب حديثا نهاية حزيران 2014وكان أول انعقاد له برئاسة عقيلة صالح عيسى مع الحكومة التي يهيمن عليها أنصار حفتر وأنصار الفدرالية وكانت القوات المسلحة الرسمية وغيرها في حالة حرب مع بعضها البعض حيث كل فيصل يحضا بدعم من مجموعة من القبائل الليبية [82] . وفي 17 ايلول /ديسمبر2015 تم التوقيع على اتفاق سياسي سمي باتفاق الصخيرات اشرفت عليه الامم المتحدة ، بقيادة (مارتن كوبلر) يهدف الى حل الازمة الليبية ، على ان تقوم حكومة وفاق وطني بالاشراف على ادارة البلد لمدة عام ، على ان يتم بعدها المرحلة الانتقالية ، وعليه تم تشكيل حكومة وفاق وطني في 19 يناير/ كانون الثاني 2016 ، بموجب الاتفاق وضم تسعة اعضاء قد مثلوا المناطق الليبية المختلفة [83] والملاحظ ان سوء ادارة المجالس المنتخبة وعجزها عن حل جميع المشاكل الاجتماعية

[81] - فرجيني كولومبينة ، الانتخابات والصراع المسلح والنفط في خضم التنافس على السلطة في ليبيا بعد القذافي ، سياسات عربية –قطر- الدوحة ، العدد18 كانون الثاني ، لا2016 ،ص96 .

[82]-فريدريك ويري، انهاء الحرب الأهلية في ليبيا:التوفيق بين السياسة وإعادة البناء ، بيروت : مركز كارنيجي لدراسات الشرق الأوسط ، أيلول ، 2014 ، ص4. وكذلك : دعاء محمود محمد ، مصدر سبق ذكره ، ص 89.

[83] - هشام عبد الخالق ، ليبيا بعد 7سنوات من الثورة: اقتصاد متدهور وثلاث حكومات ، في 17 فيراير2018 على الرابط الالكتروني ..http:llwww.masrawy.comlnews-publicaffairsl

والاقتصادية والامنية ، فضلا عن تدني قدرات سلطات الدولة في التنظيم والادارة والتوزيع الى جانب الصراعان القبيلة ، والنخب السياسية وانقسامها ، انعكس كل ذلك سلبا فكرة الانتخابات وانتج الى مزيد من التوتر والعزوف عن المشاركة في الانتخابات والدعوة الى تفضيل وجود قيادة عسكرية وسياسية قوية تدير البلاد في هذه المرحلة لغرض تحقيق الاستقرار والتعايش المجتمعي [84].

السؤال المطروح كيف يتم توظيف العامل القبلي في هذه المرحلة في تحقيق الاستقرار والاندماج الاجتماعي –السياسي في هذه المرحلة الحرجة؟. وهذا يعني ان القبيلة كان لها الدور المؤثر في تأجيج الصراع الداخلي في ليبيا، الا انها قادرة على المساعدة في المصالحة المجتمعية ، في مرحلة مابعد التغيير السياسي، من خلال دورها المؤثر في الحفاظ على السلم والأمن الأهلي في البلاد ، أي تبقى القوى الاجتماعية والممثلة بالقبائل الافضل في ملئ الفراغ الامني ، لاسيما ان ليبيا بعد الثورة شهدت انهيار مؤسسات الدولة بشكل او اخر، ويكون تاثير زعماء القبائل من خلال كسر حلقة الانتقام والثار بين القبائل ، والتوصل الى اتفاقات وقف إطلاق النار بين القبائل الليبية [85] . وهنا يتعين الحذر حول امكانية ان يأتي هذا الدور بنتائج عكسية تضر اكثر مما تنفع ، والسبب يرجع الى ان القبائل كانت مسيسة في ظل حكم القذافي كما سبق ذكره، من خلال اتباع سياسة التمييز والتفضيل بين القبائل الليبية مما انتج عداء قبلي ، وقد يثير حرمان بعض القبائل من دورها المهم والذي قد يكون له ردة فعل سلبية من جانب المنافسين . وكما ذكرنا ان بعض القبائل وصفت بانها ضد الثورة، مما يعني انها مع القذافي ، بل وصل الحال ان بعض المناطق لم يكن لديها فرصة المعارضة، حتى في المحافظة طرابلس ، والتي عاشت حالة من الهدوء تحت سيطرة او طاة التمركز المكثف لكتائب القذافي وقوات امن الدولة وقتها [86] . كان لهذه الحالات الاثار السلبية ، بعد سقوط النظام ، في حدوث استقطاب جعل المناطق التي لم يكون له دور في الثورة ، لاتحصل على تمثيل وقد تتعرض للتهميش والتقليل من شانها ، بل يصل بها الحال من التعرض الى الاعتداء من مناطق اخرى ، هذا الامر قد جعل من القبيلة بان تمثل عنصرا فاعلا بل ومهددا للسلم الاجتماعي ، بل قد تصبح مسالة تحقيق المصالحة الوطنية على أهميتها المصيرية ، تبدو بعيدة التحقيق ما قد يتوقع استمرار حالة التشظي والانقسام حاضرة من جانب بل ومهددة للمرحلة الانتقالية من جانب اخر. ويرجع أسباب كل ذلك الى جملة من الأمور وهي بالاتي[87] :

1- تركة النظام السياسي الليبي السابق ،وطريقة ادارة البلاد لفترة(42)عاما مضت.

2- انتشار السلاح خارج سيطرة الدولة، وعدم قدرة الاخيرة باحتوائه ضمن سيطرتها الرسمية، وما زاد من الامر خطورة مع سيطرة بعض القبائل على ذلك السلاح ، والذي عزز من قوتها في مجتمع تتغلب فيه الهيمنة القبلية والعشائرية.

---

[84] - زاهي بشير المغربي ، بناء الدولة والتعايش السياسي والمجتمعي في ليبيا ، اخبار ليبيا الان ، على الرابط الالكتروني ..http:llwww.libyaakhbya.comllibya.newsl

[85] - ابراهيم شرقية ، اعادة اعمار ليبيا : تحقيق الاستقرار من خلال المصالحة الوطنية : دراسة تحليلية ، مركز بروكنيجر- الدوحة، رقم (9) ، كانون الاول 2013، ص29 .

[86] - منتدى المعارف ، الربيع العربي الانتفاضة واالاصلاح والثورة ، تحرير يوسف محمد الصواني و ريكاردو رينيه لاريمونت ، بيروت، 2013 ، 151 .

[87] - سداد مولود سبع ، عدم الاستقرار السياسي في ليبيا : دراسة في العوامل الداخلية والخارجية ، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ، جامعة بغداد ، 2017 ، ص16.

3- اضافة لذلك غياب التحرك الحقيقي لإجراء المصالحة الوطنية والإصرار على إقصاء الطرف الاخر بين القبائل ، فضلا عن انعدام الثقة بين الشعب والمؤسستين التنفيذية والتشريعية ، وهذا يعكس ثقافة الحواروالتسامح فضلا عن والتحول الديمقراطي والعدالة الانتقالية ، مقابل حالة التعصب والقبلية السائدة في الحياة الاجتماعية في ليبيا .

4- واخيرا التجاذبات الفكرية والسياسية بين التيارات الاسلامية والمدنية ، فضلا عن العسكر والمليشيات المسلحة في الساحة الليبية في الوقت الحالي .

الخاتمة :

يتضح من بحثنا هذا ان نظام ألقذافي لم يسعى الى بناء مؤسسات سياسية، واجتماعية ، واقتصادية، بل وحتى ثقافية تعزز الوحدة - واللحمة الوطنية ابان حكمه، بل عمل على بناء وتكريس مؤسسات خاصة، ترتبط بما يخدم منهجه ، ومنصبه ، بل وديمومه، وحماية نظام حكمة ، لاطول فترة ممكنة ، وعلى الجانب الاجتماعي ، كان يدعم القذافي المجتمع القبلي ، كما أسلفنا ، وكان قد سعى الى ترسيخ دور القبائل ، في كافة مفاصل العملية السياسية، قبل قيام ثورة (17 يناير/ كانون الثاني 2011) .ومن ثم كان إسقاط النظام يعد إسقاطا لأركانه السياسية، بسبب حالة الفراغ التي تركها غياب هرم السلطة، الامر الذي جعل الحكومات المتعاقبة ، تصطدم بمصاعب في كيفية توفر الإرادة المناسبة، للنهوض بالبلد الى حالة الاستقرار، وتحقيق الأمان، وتضافرت تلك المصاعب مع انتشار وانفلات السلاح ، بشكل كبير بين العديد من القوى، والمليشيات الصاعدة بعد الثورة، والتي وجدت في التدخل الخارجي ، ممثلا ب(حلف الناتو) المبرر في استخدام القوة، وهذا الاتجاه تبنته القوى الإسلامية المتشددة ، والتي تبين من خلال أدوارها الخاصة، بان لها أهداف لاعلاقة لها بالمصلحة العليا للبلد ، وكذلك تختلف عن رؤى القوى السياسية الأخرى ، والتي ترمي الى بناء دولة المواطنة المدنية ، بعيدا عن الظلم، والاستبداد في السلطة ولكن الامر ازداد تعقيدا بمرور الوقت مع ظهور تلك القوى عبر المسار السياسي الجديد، واتخاذها ممثلين في الحكومة ، والبرلمان ، فضلا عن بقاء الجناح العسكري مسيطرا على الساحة الداخلية ، هذا الحال اوجد صراع ، وتنافس حاد بين القوى الليبية ، والأجنحة العسكرية والقبائل ، والمليشيات المسلحة ، للحد من نشوء حكومتين في عام 2014 احدها معترف بها دوليا ، اما الأخرى غير معترف بها ، لكنها كانت تحظى بمقبولية من الشعب الليبي ، هذه التفرقة في التوجه اضعف المجلس الانتقالي المؤقت ، والبرلمان المنتخب في عام 2012 ، مما فتح الباب واسعا أمام التدخلات الخارجية ، منها الإقليمية ، وكذلك الدولية، بشكل واضح ومؤثر على امن واستقرار البلد ، بعيدا عن المصلحة الوطنية للمجتمع الليبي ، وفقا للتقاطعات والرؤى المختلفة بين القبائل ، والعشائر وعناصر الحكومة الجديدة .وهنا أيضا يمكن القول بان (القبيلة) ليس تنظيما سلبيا غير مرغوب فيه ، لكن أين المشكلة ؟ ! نجد ان المشكلة تكمن في طريقة استغلال هذه التركيبة الاجتماعية في خدمة الوطن من عدمه ، وكذلك تكمن المشكلة في درجة قوة الانتماء ، أي عندما يكون الانتماء يصل الى درجة التعصب ، فان الخطر يكون في تعارض هذا اللون او النهج التقليدي للولاء مع ولاءات المجتمع الحديث ، والمتمثل في الولاء للجماعات التي ينتمي إليها الفرد في المجتمع الى الطائفة او المذهب إلى الولاء الأهم ذو المجال الشامل كالولاء للوطن ، والهوية الوطنية المتسمة بروح المواطنة الحقيقية . من كل كذلك نتوقع باستمرار حالة عدم الاستقرار السياسي ، وبروز ظواهر العنف من هنا وهناك وهذا

مايرشح ان يصل الحال او الوضع في ليبيا أن يكون هنالك ناقوس خطر التقسيم او التجزئة وسيكون حاضر في المستقبل ، اذا لم تتوحد القوى الداخلية اجمعها لخدمة البلد .

Abstract

Libya presents the experience of the failed state model after the so-called(relation of the Arab spring) the full absence of institution under the Kaddafi regime and the quick moving in to pulsation, but in its un healthy from such pluralism was a reflection of the multi-tribal and territorial, religious, ideological plurality. Kind of internal conflict was arisen, because of the shape intersection among those force , turning most often into internal fighting between the conflicting parties which was supported by regional and international intervention making the Libyan issue more complicated problem .